في بيت النبي ﷺ

الأستاذ الدكتور
أحمد عمر هاشم

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب

حسام حسين

مستشار النشر

أحمد جمال الدين

رقم الإيداع

٩١٤٢ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولى

٩٧٧ - ٣٩٩ - ٠٩٥-٧

الطبعة الأولى

الجمع والإخراج الفنى
«مكتبة ابن سينا»
ت : ٦٣٧٩٨٦٣ ف : ٦٣٨٠٤٨٣

مطابع العبور الحديثة

الكتاب : سيرة الرسول ﷺ لكل الأعمار

المؤلف : أ.د. أحمد عمر هاشم

الغلاف : إبراهيم محمد إبراهيم

الناشر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - القاهرة

E-mail:atlas@innovations-co.com

تليفون : ٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٠٣٩٥٣٩ - ٣٤٦٥٨٥٠

فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨

* * * *

تطلب جميع مطبوعاتنا من

وكيلنا الوحيد بالمملكة العربية السعودية

مكتبة الساعي للنشر والتوزيع

ص.ب ٥٠٦٤٩ الرياض ١١٥٣٣ - هاتف ٤٣٥٣٧٦٨ - ٤٣٥١٩٦٦

فاكس : ٤٣٥٥٩٤٥ جدة - تليفون وفاكس : ٦٢٩٤٣٦٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾ [الأحزاب : ٦] .

بُيُوتُ النبيّ ﷺ

كانتْ بيوتُ النبيّ ﷺ في شكلها وتواضُعها تعبّر تعبيرًا واضحًا عن نظرة النبيّ ﷺ إلى الحياة الدنيا، وأنها ظلٌّ زائلٌ، يكفي الإنسانَ فيها بيتٌ يستُرُه، أيّ بَيتٍ بشرط أن يكونَ آمنًا لا يخافُ فيه الإنسانُ من شيء، وأثاثٌ يكفي لاحتياجاته، وقُوتُ يومه، وإذَا تمتَّع بعدَ ذلكَ بصحة جيدة، فقدْ حيزَتْ لهُ الدنيَا بحذافيرها، كمَا جاءَ في الحديث الشريف: «من باتَ معافًى في بدنه، آمنًا في سربه، عندَه قُوتُ يومه، فقد حيزَتْ لهُ الدنيَا بحذافيرها».

وعندَمَا وصلَ النبيُّ ﷺ إلى المدينة المنورة أقامَ أولاً في دار أبي أيوب الأنصاريّ، ومعَ بناء المسجد النبويّ بنَى الرسولُ ﷺ حجرتين إحداهُما للسيدة عائشةَ بنت أبي بكر، والأخرَى للسيدة سَوْدَةَ بنت زَمْعَةَ، ثُمَّ كانَ يبني حُجرةً لكلّ زوجة تزوَّجها، حتَّى

أصبحَ لهُ تسعُ حجرات لزوجاته بعدَ السيدة خديجةَ، فقدْ كانَ ﷺ يقيمُ معَها في بيتها بمكةَ، وقدْ تُوُفِّيتْ هناكَ قبل الهجرة.

أمَّا بنَاءُ بيوت النبيّ ﷺ فقدْ كانَ بعضُها يُبنَى من طين وجريد، وسَقفُها من جريد النخل، وبعضُها من حجارة رُصَّتْ بعضُها فوقَ بعض، وسقفُها من جريد أيضًا.

وكانتْ أبوابُ حجرات الرسول ﷺ من الجلْد، ويغلبُ أنْ يكونَ علَى الجلود شَعرٌ أسودُ.

وفي حجرة عائشةَ - رضي اللهُ عنْهَا - دُفِنَ النبيُّ صلوات الله وسلامه عليه، ودفنَ معه صاحباه أبو بكر وعمرُ. أمَّا الحجراتُ الأخرَى فقدْ بقيت على حالها حتَّى جاءَ عهدُ الوليد بن عبد الملك، وكانتْ قد تُوُفِّيَتْ زوجاتُ الرسول ﷺ جميعًا قبلَ ذلكَ، فأمرَ الوليدُ سنةَ (٨٧هـ) بهدم هذه الحجرات وضمّها إلى مسجد الرسول ﷺ توسعةً لهُ.

ويُروَى أن النَّاس انتحَبُوا حين هُدمَتْ هذه الحجراتُ استذكارًا لرسول الله ﷺ.

ويقولُ سعيدُ بنُ المسيَّب (الذي كانَ عالمَ المدينة آنذاك): والله لوددتُ لوْ أنَّ الوليدَ ترك حُجْرَات الرسول ﷺ علَى حالها، حتَّى يرَى الناسُ ما اكتَفى به الرسولُ ﷺ في حياته، فيكونَ ذلكَ مِمَّا يزهّدُهم في التفاخر والتكاثر[1].

(١) الرسول في بيته ، د/ أحمد شلبي، ص ١٧ بتصرف.

أثاثُ بيوت النبيّ

وكانَ أثاثُ بيوت الرسول ﷺ غايةً في التواضع، فبيتُ عائشةَ مثلاً كانَ أثاثُه عبارةً عن سرير ساذَج عليه حشيَّةٌ ووسادةٌ حَشْوُها ليْفٌ، وعليه غطاءٌ من قَطيفة قديمة، وليسَ في الدار إلاَّ جَرَّةٌ للماء وآنيةٌ من الفخار، ورَفٌّ صغيرٌ عليه بعضُ الشعير والتَّمر، ورَحًى لطحن الشعير وقربةٌ لحفظ المياه، ومرآةٌ كانَ الرسولُ ﷺ يسمّيها (المُدلَّة). ولما اصطحبَ الرسولُ ﷺ عديَّ بنَ حاتم إلى داره تناولَ الرسولُ ﷺ وسادةً من الجلد محشوَّةً ليفًا وقدَّمها إلى عديّ ليجلسَ علَيها، وجلسَ الرسولُ ﷺ علَى حصير.

تلكَ هيَ حجرةُ عائشةَ، وذلكَ هو أثاثُها، وكانتْ حجراتُ باقي الزوجات علَى هذا النمط تكوينًا وأثاثًا[1].

(١) المرجع السابق ١٧، ١٨.

من خصائص البيت النبويّ

لبيت النُّبوَّة سماتُه وخصائصُه، التي خصَّه اللّهُ - تعالَى - بها وميَّزهُ لحمل تراث النبوة، وتلقّي الوحي الإلهيّ، فتلكَ مَيْزَتُه، وليست المالَ ولا زخرفَ الحياة الدنيَا، ولا مباهجَها الزائفةَ وعَرَضَها الزائلَ؛ وذلكَ ليكونَ المثلَ الأعلَى، والقدوةَ الحسنةَ، في الرضَا والقناعة، والصبر والاحتمال.

وقد كانَ رسولُ الله ﷺ أولى بالمؤمنينَ من أنفسهم، فهوَ الرؤوفُ بهم، والعطوفُ عليهم، وكانتْ أزواجُه أمهاتهم.

قالَ اللهُ تعالَى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾

[الأحزاب: ٦].

ولقد ضرب ﷺ أروعَ الأمثلة في حياة التقشُّفُ

والزُّهد والقناعة والرضَا، وجعلَ من نفسه وبيته المثالَ المحتذَى والأسوةَ الحسنةَ في العُزوف عن الدنيَا، وعن الغرور بها، وفي الإعراض عن زهرَتها.

ولقدْ أخذَ نفسَه وأهلَه بالتقشُّف والزُّهد والقناعة، لدرجة أنهُ لم يشبَع ثلاثةَ أيام تباعًا من خبز. وعَن عائشةَ - رضي الله عنها - أنها قالتْ: «ما شبعَ رسولُ الله ﷺ ثلاثةَ أيام تباعًا من خبز حتَّى مضَى لسبيله»(١).

بل إنَّه ﷺ لمْ يشبَع هُو وأهلُ بيته من خبز الشعير، فعنْ عبد الرحمن بن عوف - رضيَ اللهُ عنه - أنه قالَ: «ماتَ رسولُ الله ﷺ، ولم يشبعْ هُوَ وأهلُ بيته من خبز الشعير»(٢).

وكانتْ بُيوتُه ﷺ علَى درجة عالية من الرضَا والقَناعة، ولا سيما عندمَا كانَ العيشُ قليلاً، ولا يوجَد لدى أمهات المؤمنينَ من الأطعمة ما يُطْهَى

(١) رواه مسلم. (٢) رواه الترمذي.

بالنار مدةً طويلةً.

عن عائشةَ - رضي الله عنها - قالت لعُروةَ: يا ابنَ أختي إن كُنَّا لننظُرُ إلى الهلال ثمَّ الهلال، ثلاثةَ أهلَّة في شهرين، وما أوقدتْ في أبيات رسول اله ﷺ نارٌ. فقالَ: يا خالةُ ما كانَ يُعيشُكم؟

قالتْ: الأسودان، التَّمرُ والماءُ، إلا أنَّه قدْ كَان لرسول الله ﷺ جيرانٌ من الأنصار، كانت لهُم مَنائحُ، وكانوا يمنحونَ رسولَ الله ﷺ من ألبانها فيسقينا[1].

وكانَ هذَا الزُّهد والتقشُّف وحياةُ القناعة والخشونة مثلاً يحتذَى في الصبر والرضَا، يجوعُ يومًا فيصبرُ، ويشبع يومًا فيشكُرُ، ويعيشُ حياتَه بين التضرُّع والدعاء، والشكر والثناء.

قالتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها: ولقدْ ماتَ وما في بيتي شيءٌ يأكُله ذو كَبد، إلا شطرَ شعير في رفّ لي، وقالَ لي:

---

(١) رواه البخاري.

- إني عُرِضَ عليَّ أن يُجعلَ لي بطحاءُ مكةَ ذهبًا فقلتُ: لا ياربّ، أجوعُ يومًا فأصبرُ، وأشبَعُ يومًا فأشكرُ، فأمَّا اليومُ الذي أجوعُ فيه، فأتضرَّعُ إليكَ وأدعوكَ، وأمَّا اليومُ الذي أشبعُ فيه، فأحمَدُكَ وأثني عليكَ[1].

ولقدْ أخذَ ﷺ حياتَه على هذَا النحو، علَى الرغم مِمَّا كانَ في وُسعه منْ أن تكونَ لهُ بطحاءُ مكةَ ذهبًا.. ولكنَّه الرضَا والقناعةُ، والأسوةُ الحسنةُ التي يجبُ على أمَّته ﷺ أن تتوخَّاها فلا تغُرهَا الحياةُ الدنيَا ولا يغرهَا بالله الغَرُورُ.

فلقدْ عَرَضَ عليه كبراءُ القوم مقاليدَ الأمْر، وعرضوا عليه المالَ والجاهَ والسلطان والسيادةَ، لكنَّهُ رفضَ بإباء وشَمَم وقوة لا نظيرَ لهَا؛ لأنَّه ليسَ طالبَ مال ولا جاه، وإنما جاء وأرسل إلى الناس شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا.

وكانتْ هذه الحياةُ إعدادًا أو تهيئة للدار الآخرة،

(١) رواه الشيخان (البخاري ومسلم).

وليكونَ بيتُ النبوة مثالاً يحتذَى وقدوةً للناس.

وليسَ معنَى هذَا أنَّ في الإسلام دعوةً إلى القلَّة والفقر، أو أنَّ فيه حَجْرًا على التمتُّع بالطيبات، وإنَّما هيَ القدوةُ المثلَى والأسوةُ الحسنةُ، والنماذجُ العاليةُ التي ربَّاها الإسلامُ، فاستهانتْ بزخارف الحياة الدنيَا من جاه أو ثراء أو عَرَض منْ زينة الحياة الدنيَا.

حتَّى عندَما تكونُ الدنيَا في يد المسلم فإنَّها لا تلهيه عن ربِّه، ولا يسكنُ حبُّها قلبَه، بلْ يزهدُ فيهَا وهيَ بينَ يديْه.

ومنْ خصائص بيت النبوة أنَّ الذي يتركُه النبيُّ ﷺ من المال يكون صدقةً، فلا يسري عليه ما يسري على أموال سائر الناس من الميراث؛ فقدْ قالَ ﷺ: «إنَّا معشرَ الأنبياء لا نُوْرَثُ وما تركنَاهُ صدقةٌ».

وأمَّا قولُ الله تعالَى حكايةً عن زكريَّا عليه السلام: ﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ [مريم: ٥ - ٦].

فلم يُرِدْ يرثُني في مالي، وإنمَا أرادَ أن يرثه في العلم؛ لأنَّه كانَ حَبرًا (أي عالمًا) ويرثُ من آل

يعقوبَ: أي يرثُ المُلك. وأمَّا قولُه تعالَى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ [النمل: ١٦].

فالمراد ورثَه في المُلك والنبوة والعلم، وكلاهُما كانَ نبيًّا وملكًا. ومنَ الأدلَّة أيضًا على أن رسولَ الله ﷺ لا يُورَث، أنَّه كانَ لا يرثُ بعدَ أن أوحَى الله إليه، وإنَّما كانتْ وراثتُه أبَوَيْه قبلَ الوحي.

وأمَّا منازعةُ فاطمةَ رضي الله عنها أبا بكر - رضي الله عنه - في ميراث النبيّ ﷺ فليسَ بمنكر؛ لأنها لمْ تعلم ما قالَه رسولُ الله ﷺ، وظنَّتْ أنها ترثُهُ كمَا يرثُ الأولادُ آباءَهم. فلمَّا أخبرَتْ بقوله كفَّتْ، ورضيَتْ بما حكمَ اللهُ.

مع نساء الرَّسول ﷺ

أمَّهاتُ المؤمنين

لقد شاءتْ حكمةُ الله العليم الحكيم أن يخُصَّ رسولَه - صلواتُ الله وسلامُه عليه - ببعض الخصوصيات التي لا يصحُّ أنْ يقتدي أحدٌ به فيهَا، ومنْ هذه الخصوصيات زواجه - صلوات الله وسلامه عليه- بأكثرَ منْ أربع نسَاء، وقدْ رأى بعضُ الباحثينَ أنَّ تعدُّدَ زوجاته كانَ قبلَ نزول التَّقييد بأربع نساء، إلى جانب أنَّ أمهات المؤمنينَ لا يصحُّ زواجُ أحد ما بواحدة منهنّ إذا فارقهنَّ الرسولُ ﷺ لقوله تعالَى :

﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

ومما يؤكد هذَا أنَّ سورةَ الأحزاب - وهيَ التي أحلَّ اللهُ فيهَا لرسوله ﷺ هذَا العددَ - نزلَتْ قبلَ

سورة (الممتحنة) وبعدَ سورة (الممتحنة) نزلتْ سورةُ (النساء) وقد جاءَ التقييدُ بأربع نسوة في سورة (النساء).

وأيًا مَا كانَ الأمرُ فإنَّ اللهَ تعالَى قدْ خصَّ رسولَه ﷺ بذلكَ لحكَم عظيمة ودقيقة، منْ أهمِّها: أنَّه كانَ يريدُ توثيقَ الروابط بينَ القبائل والأسَر وكبار الشخصيات المهمة التي يكونُ لَها دورُها في مؤازرة دعوته، وكانَ لكلّ زواج حكمةٌ خاصَّةٌ، فمنهُ ما أرادَ اللهُ به إبطالَ عادة كانتْ قائمةً من أيام الجاهلية، وهيَ ظاهرةُ التبنّي وتحريم زوجة المتبنَّى، ومنهَا الحفاظُ علَى كرامة بعض النساء اللاتي استُشهدَ أزواجُهُنَّ في الجهاد، ومنهَا أنَّه كانَ لكلّ واحدة منهُنَّ دورٌ مهمٌّ في دعوة الإسلام، وفي نشر تعاليم هذَا الدين، وكانَ الرسولُ ﷺ يُعنَى بأمرهنَّ وتعليمهنَّ، فكانَ يعلّم النساءَ أمورَ الدّين، ويخصّصُ وقتًا يجلسُ لهنَّ فيه.

وكانتْ أمهاتُ المؤمنينَ علَى درجة عالية مِنَ العلم، إذْ يجدُ النساءُ عندهُنَّ الإجابةَ على أمورهنَّ

وأحوالهنَّ، التي يمنعُهنَّ الحياءُ من التصريح بهَا أمامَ الرسول ﷺ، كالأمور الخاصَّة بهن.

فكانَ لأمهات المؤمنينَ أثرٌ لا ينكَرُ في دعوة الإسلام، وفي تبليغ الأحكام.

وهنَا تتجلَّى إحدَى الحكم الدقيقة والعميقة من تعدُّد زوجات رسول الله ﷺ، حيثُ كانَ لأمهات المؤمنينَ هذا الدورُ المؤثِّرُ في نشر أحكام الإسلام التي تستحي المرأةُ عادةً أن تسألَ عَنْها الرجالَ، ولا يقعُ هذَا الحرجَ حينَ تكونُ المرأةُ مع بنات جنسها.

ولْنُلْق نظرةً سريعةً على أسماء أمهات المؤمنينَ رضيَ اللهُ عنهن.

السيدةُ خديجةُ بنتُ خويلد رضي الله عنها:

وهيَ أولَى زوجاته ﷺ، وكل أبنائه منهَا إلا إبراهيمَ، فإنَّه من ماريَّةَ. زوَّجه إيَّاها عمُّها. وكانت السيدةُ خديجةُ أول مَن آمنَ بدعوة الإسلام، وقد ساندَت النبيَّ بمالها وحنانها وكانتْ تخفِّفُ عنهُ ما يلقَى من تعنُّت كفار قريش.

السيدةُ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها :

وهي الصِّدّيقةُ بنتُ الصّدّيق رضي الله عنهما. تزوجَها رسولُ الله ﷺ بمكةَ، وبنَى بهَا بالمدينة، ولمْ يتزوَّجْ بكرًا غيرَها. وقدْ روَتْ عنْ رسول الله الكثيرَ من الأحاديث.

السيدةُ سَودةُ بنتُ زَمعةَ رضيَ اللهُ عنهَا :

وهيَ سَودةُ بنتُ زمعةَ بن قيس، تزوَّجَها رسولُ الله بعدَ وفاة السيدة خديجةَ رضي الله عنها؛ لترعَى بناته مِنْ خديجةَ، وهُنَّ فاطمةُ وأمُّ كُلثُوم وزينبُ رضيَ اللهُ عنهنَّ.

السيدةُ زَيْنَبُ بنت جَحْش رضي الله عنها :

هيَ زينبُ بنتُ جحش، تزوَّجها رسولُ الله ﷺ بعدَ أنْ طُلّقتْ من زيد بن حارثةَ- رضي الله عنه- وذلكَ ليبطلَ عادة التَبَنّي التي كانت تحرّم زوجةَ المُتَبَنَّى.

السيدةُ أمُّ سَلَمةَ رضي الله عنها :

واسمُها هندُ بنتُ أبي أميةَ بن المغيرة المخزوميةُ،

تزوَّجها الرسولُ ﷺ بعدَ وفاة زوجها أبي سَلَمَة.

السيدةُ حَفْصَةُ بنتُ عمرَ رضي الله عنهما :

وهيَ حفصةُ بنتُ عمرَ بن الخطاب، زوَّجَها أبوها إلى رسول الله ﷺ بعد استشهاد زوجها في غزوة بدر.

السيدةُ أمُّ حبيبةَ رضي الله عنها :

وهيَ رَمْلةُ بنتُ أبي سُفيانَ بن حرب، زوَّجَها الرسولُ ﷺ خالدُ بنُ سعيد بن العاص بعد أن اختارته وكيلا لها، وهمَا في الحبشة.

السيدةُ جُوَيْريةُ بنتُ الحارث بن أبي ضرار الخزاعيةُ:

كانتْ في سبايَا بني المصطَلَق من خزاعةَ، وقعتْ في السَّهم لثابت بن قيس، فكاتَبها على نفسها، فأتتْ رسولَ الله ﷺ تستعينهُ في كتابَتها، فقالَ لَهَا: هلْ لك خيرٌ من ذلكَ؟ قالتْ : وما هوَ ؟

قال : أقضي عنك كتابتَك وأتزوجُك .

فقالتْ : نعمْ .

السيدةُ صفيةُ بنتُ حُيَيّ رضي الله عنها :

هيَ صفيةُ بنتُ حُييّ بنِ أخْطَبَ، وكانت من سَبْي غزوة خيبر فأعتَقَها الرسولُ ﷺ وتزوَّجَها .

السيدةُ مَيمونةُ بنتُ الحارث رضي الله عنها :

وهيَ السيدةُ مَيمونةُ بنتُ الحارث بن حزن بن بجير بن هزم بن رؤيبةَ، وقد زوَّجَها العباسُ بنُ عبد المطلب رسولَ الله ﷺ، ويقالُ إنَّها التي وهبتْ نفسَها للنبيّ ﷺ .

السيدةُ زينبُ بنتُ خُزَيمَة رضي الله عنها :

هيَ زينبُ بنتُ خزيمةَ بن الحارث، وهيَ التي كانتْ تُكنَّى بأمّ المساكينَ لإشفاقها عليهم، ورعايتها لهُم.

وهذا العددُ منْ أمهات المؤمنينَ هنَّ اللاتي بَنى الرسولُ ﷺ بهنَّ، وقد ماتَ قبله منهُنَّ ثنتان: خديجةُ بنت خويلد، وزينبُ بنتُ خزيمةَ، وتوفّي عن الباقيات وهنَّ تسعُ نسوة كَمَا مرَّ .

الرَّسولُ ﷺ في بيته

☆ معَ زوجاته :

لقد وصفَ اللهُ تعالَى رسولَه ﷺ بالرأفة والرحمة، وهمَا وصفان عامَّان وشاملان لجميع الناس، للقريب والبعيد منْ المؤمنينَ، حيثُ قالَ جلَّ شأنُه: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وركَّزَ بعثتَه للأمة، وحدَّد رسالتَه إليهَا في الرحمة بالعالمينَ، حيثُ قالَ جلَّ شأنُه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

والرحمةُ بالجميعُ يدخُل فيهَا دخولاً أوليا الرحمةُ بالأهل والزوجات والأبناء، فكانَ - صلواتُ الله وسلامُه عليه- رحيمًا بأهله، طيبَ العشرة معَ أمهات المؤمنينَ، وسائر الأهل والأقربينَ، ويدعُو المسلمينَ أنْ يكونُوا كذلكَ معَ أهليهم، ويوضحُ لهُم أنَّ حُسنَ معاملة الأهل دلالةٌ علَى خيرية الإنسان، فيقولُ صلواتُ الله وسلامُه عليه: «خَيْرُكُم خيرُكُم لأهله

وأنا خيرُكم لأهلي»[1].

ويربطُ بينَ كمال الإيمان وحسن الخلق وملاطفة الأهل، فيقولُ صلواتُ الله وسلامهُ عليه: «إنَّ من أكمل المؤمنينَ إيمانًا أحسنَهم خُلقًا وألطفَهُم بأهله»[2].

ومنْ حُسْن معاشَرَته لأهله ومؤانسته أنَّه كانَ يسابقُ السيدةَ عائشةَ رضي الله عنها، وقدْ سابقَها مرةً فسبقتْه، حتَّى إذا مضَتْ مدةٌ، قالَ لهَا: «تعالَى أسابقْك». تقولُ السيدةُ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها: وكنتُ بدنتُ وسمنتُ فسبقني، وجعلَ يضحكُ، ويقول: «هذه بتلكَ»[3].

وكان ﷺ بسَّامًا يُضفي علَى بيته الفرحَ والسرورَ، فقد سئلَتْ السيدةُ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها: كيفَ كانَ ﷺ إذا خَلا في بيته؟ فقالتْ: كانَ ألينَ الناس، بسَّامًا ضحَّاكًا.

ويضربُ - صلواتُ الله وسلامُه عليه - أروعَ الأمثلة على حبّه لأهله، وحنانه وعطفه ومساعدته لأهله، وذلكَ حينَما يقومُ بمهنة أهله في تواضع جَمّ، فلا يترفَّعُ

(١) رواه الترمذي. (٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه أحمد وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها.

علَى عمل من الأعمال في بيته، بل إنَّه يقومُ بخدمة نفسه، ويعملُ ما يعملُ الرجالُ في بيوتهم.

عن الأسود - رضيَ اللهُ عنه - قال: سألتُ عائشةَ رضيَ اللهُ عنهَا: ما كانَ حالُ النبيّ ﷺ في أهله؟

قالتْ:

- كانَ في مهنة أهله، فإذا حضرَت الصلاةُ قامَ إلى الصَّلاة وكأنَّه لا يعرفُنا[1].

بل إنه - صلواتُ الله وسلامُه عليه - لا يجدُ حرجًا من بعض الأعمال التي يأتيهَا في بيته بنفسه، ربما لا يأتيها كثيرٌ من الناس، يتجلَّى ذلكَ فيمَا روتْهُ أمُّ المؤمنينَ عائشةُ - رضي الله عنها - حينَما سُئلتْ:

- ما كان رسول الله ﷺ يعمل في بيته؟

حيثُ قالتْ:

- كانَ يَخيطُ ثوبَهُ، ويَخْصِفُ[2] نَعْله، ويعملُ ما يعملُ الرجالُ في بيوتهم.

وكان - صلواتُ الله وسلامُه عليه - يعاشرُ زوجاته

(١) رواه البخاري وأحمد والترمذي. (٢) يُصلِحها ويخيط منها ما تمزَّق.

معاشرةً حسنةً تتَّسمُ بالحلم والصبر وسعة الصدر، حتَّى كنَّ يُراجعْنَه الكلامَ. وكانت الوصيةُ بالأهل من آخر ما وصَّى به الرسولُ ﷺ، حيثُ قالَ:

- استَوصُوا بالنساء خيرًا.

ولقدْ وضَّحَ الرسولُ - صلواتُ الله وسلامُه عليه - أن أفضلَ النفقة ما كانَ علَى الأهل، حيثُ قالَ: «دينارٌ أنفقتَه في سبيل الله، ودينارٌ أنفقتَه في رقبة، ودينارٌ تصدَّقْتَ به على مسكين، ودينارٌ أنفقتَه علَى أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقتَه علَى أهلكَ»[1].

ويخبرُنَا رسولُنا - صلواتُ الله وسلامُه عليه - أن اللُّقمةَ إذَا وضعَها الإنسانُ في فم زوجته يُؤجرُ علَيْها، وقدْ يكونُ ذلكَ للمداعبة وإدخال السرور عليْها، فقدْ قالَ - صلواتُ الله وسلامه عليه - لسعد بن أبي وقاص رضيَ اللهُ عنهُ:

«وإنَّكَ لنْ تنفقَ نفقةً تبتغي بِهَا وجهَ الله إلا أُجِرْتَ علَيهَا حتَّى اللُّقمَة تضعُها في فَم امرأتك»[2].

(١) رواه البخاري ومسلم. (٢) رواه البخاري ومسلم.

ومن ملاطفته وإدخاله السرورَ علَى أهله وتسامحه أنه سمحَ للحبشة أن يلعبُوا في ساحة المسجد بالحراب والسيدةُ عائشةُ - رضيَ اللهُ عنها- واقفةٌ خلفَهُ تنظرُ إليهم.

قالت السيدةُ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها : سمعتُ أصواتَ الناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبونَ، فقالَ لي رسولُ الله ﷺ :

- أتحبّينَ أن تَريْ لعبَهم؟

قلتُ : نعمْ .

فأرسلَ إليهم فجاءُوا، وقامَ رسولُ الله ﷺ بينَ البابين فوضعَ كفَّه علَى الباب، ومدَّ يَدَه ووضعتُ ذقني على يده، وجعلُوا يلعبونَ وأنظُرُ، وجعلَ رسولُ الله ﷺ يقولُ : «حَسْبُك». وأقول: «اسكتْ». مرتين أو ثلاثًا.

ثم قالَ : «يا عائشةُ حسبُك».

فقلتُ : نعمْ.

فأشارَ إليهم فانصرفُوا .

وكانتْ عائشةُ فتاةً حديثةَ السنّ حينذاكَ، فقدْ زُفَّتْ

إلى الرسول ﷺ وهي بنتُ تسع سنوات .

وكانَ النبيُّ ينفقُ من بيته ومن ماله على الفقراء والمحتاجينَ، وكانَ بلالُ بنُ رباح خازنَ الرسول ﷺ، فدخل عليه النبيُّ ذاتَ يوم وعندَه صُبْرَةٌ من تمر، فقال:

- ما هذا يا بلال ؟

فقال بلال :

- أعدُّ ذلكَ لأضيافك .

فقالَ ﷺ :

- أنفقْ يا بلالُ ، ولا تَخْشَ من ذي العَرْش إقلالاً .

وقالت السيدةُ عائشةُ رضي الله عنها : أمرني رسولُ الله ﷺ أن أتصدَّقَ بذهب كانَ عندَه في مرضه، فسألني: ما فعلت؟

قلتُ : شغلني ما رأيتُ من مرضكَ ؟

فقالَ : فهلمَّ بها .

فجاءتْ بِهَا السيدةُ عائشةُ إليه فأرسلَها إلى عليّ بن أبي طالب- رضيَ اللهُ عنهُ- فتصدَّق بِهَا .

النَّبي العابد

وتخبرُنَا أمُّ المؤمنينَ - رضيَ اللهُ عنهَا - أنَّ النبيَّ ﷺ كان في بيته عابدًا لله وذاكرًا، فتقولُ:

- كانَ النبيُّ يقومُ من الليل - أي يقومُ يصلّي - حتى تتفطَّرَ قدماهُ، فقلتُ لهُ: لمَ تَصنَعُ هذَا يا رسولَ الله وقد غُفرَ لكَ ما تقدَّمَ من ذنبكَ وما تأخَّرَ؟

فقالَ: أفَلا أكونُ عبدًا شكورًا ؟!

وكانَ رسولُ الله ﷺ يصلّي في الليل إحدَى عشرةَ ركعةً، يسجدُ السجدةَ من ذلكَ قدرَ ما تُقْرأ خمسونَ آيةً قبلَ أنْ يرفعَ رأسَه، ويركعُ ركعتين قبلَ صلاة الفجر، ثم يَضْطَجعُ علَى شقّه الأيمن حتَّى يأتيَهُ المنادي للصلاة.

- وكانَ رسولُ الله ﷺ إذا فاتتْهُ الصلاةُ - أي قيام الليل - من وجع[1] أو غيره صلَّى من النهار اثنتَيْ

(١) وجع: مرض.

عشرةَ ركعةً .

والرسولُ ﷺ قُدوتُنا. ولذلكَ فنحنُ نقتدي به في عباداتنا لله تعالَى في صلاة قيام الليل وصوم السنن والنوافل، ولكن كُلّ واحد حسبَ طاقته في العبادة؛ فأحَبُّ الأعمال إلى الله أدومُها وإن قلَّ.

وكانَ رسُول الله ﷺ يذكرُ اللهَ علَى كلّ حالاته.

عن عبد الله بن مسعود - رضيَ اللهُ عنهُ - قالَ: كانَ رسولُ الله ﷺ يقولُ إذا أمسَى: أمسَيْنا وأمسَى الملكُ لله، والحمدُ لله، لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ لَه، له الملكُ ولَه الحمدُ، وهوَ عَلَى كلّ شيء قديرٌ، ربّ أسألُكَ خيرَ ما في هذه الليلة وخيرَ ما بعدَها، وأعوذُ بكَ من شَرّ هذه الليلة وشرّ مَا بعدَها، ربّ أعوذُ بكَ منَ الكسل وسوء الكبَر، ربّ أعوذُ بكَ من عذاب في النار، وعذاب في القبر.

وإذا أصبحَ قالَ مثلَ ذلك: أصبحْنَا وأصبحَ الملكُ لله، والحمدُ لله[1].

(١) رواه مسلم.

وعنْ أنس - رضيَ اللهُ عنهُ - قالَ : «كانَ رسولُ الله ﷺ إذا أوَى إلى فراشه قالَ: الحمدُ لله الذي أطعمَنَا وسقَانا، وكفَانا وآوانَا فكم مَنْ لا كافيَ له ولا مؤوي»(١).

وعن أمّ سَلمة - رضيَ اللهُ عنهَا - قالتْ : «كانَ رسولُ الله ﷺ إذا خرجَ من بيته قالَ: بسم الله توكلتُ على الله. اللهم إنا نعوذ بك من أن نَذِل أو نُذَل أو نَضلَّ أو نُضَلّ، أو نَظلمَ أو نُظلم أو نَجهل أو يُجهل علينا»(٢).

وعن أبي سعيد الخدريّ - رضيَ اللهُ عنهُ - قالَ: «كانَ النبيُّ ﷺ إذا استجد ثوبًا - أي اشترى ثوبًا جديدًا- قال: اللهمَّ لكَ الحمدُ أنتَ كسوتَني هذَا.. أسألُكَ خيرَه وخيرَ ما صُنعَ لهُ وأعوذُ بكَ من شرّه وشرّ ما صُنعَ لَهُ»(٣).

وعن أبي سعيد - رضيَ اللهُ عنهُ - قالَ : «كانَ

(١) رواه الترمذي . (٢) متفق عليه .

(٣) أخرجه الترمذي وأبو داود .

النبيُّ ﷺ إذَا أكلَ أو شربَ قالَ: الحمدُ لله الذي أطعمنَا وسقانا وجعلَنا مسلمينَ»[1].

وعن أنس بن مالك - رضيَ اللهُ عنهُ - قالَ: كانَ النبيُّ ﷺ يقولُ: اللهمَّ إنّي أعوذُ بِكَ منَ العجز والكسل والجُبْن والهَرَم والبُخْل، وأعوذُ بكَ من عذاب القبر، وأعوذُ بِكَ من فتنة المَحْيَا والممات»[2].

(١) أخرجه الترمذي وأبو داود.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

النبي المتوكل على الله

لقد كان رسول الله ﷺ يتوكل على الله ، وكان الله يعصمه من الناس، كما قال سبحانه: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧] .

وهذا موقف من مواقف توكله على الله وعصمة الله تعالى له، وتأييده له بالمعجزات في إحدى الغزوات، وكانت تلك الغزوة «قِبَل نجد» أي ناحية نجد، وفي رواية أخرى أنها كانت بذات الرقاع، فنزل رسول الله ﷺ تحت شجرة، فعلق سيفه بغصن من أغصانها، وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، وكان الوادي الذي نزلوا فيه كثير العضاة، أي الشجر الذي به شوك، فأخبر الرسول ﷺ أن رجلاً أتاه وهو قائم واسمه: غورث بن الحارث، فأخذ السيف الذي كان قد علقه بغصن الشجرة،

فاستيقظ الرسول ﷺ والرجل قائم على رأسه، فلم يشعر إلا والسيف مسلول في يد الرجل، وقال: من يمنعك مني؟ فأجابه الرسول ﷺ قائلاً: الله، ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ فقال له: الله، فألقى اللهُ الخوفَ في قلب الرجل، فأغمد السيفَ وردَّه في غمده، ومع هذا فلم يعرض رسول الله ﷺ للرجل، ولم يقابل السيئة بمثلها، بل قابل السيئة بالحسنة، وعفا عنه، وهذا يدل- كما قال العلماء- على أنه ﷺ كان في هذا الوقت لا يحرسه أحد من الناس بخلاف ما كان عليه أول الأمر، فإنه كان يُحْرَس حتى نزل قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٦٧] يقول أبو هريرة، قال: كنا إذا نزلنا طلبنا للنبي ﷺ شجرة وأظلها، فنزل تحت شجرة، فجاء رجل فأخذ سيفه، فقال: يا محمد من يمنعك مني؟ قال الله: فأنزل الله: ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾

[المائدة: ٦٧].

وفي رواية البخاري قال ﷺ : «إن هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده، فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله - ثلاثا، ولم يعاقبه وجلس.

وهكذا يؤيد الله تعالى رسوله ﷺ ، ويعصمه من الناس، ولقد كان صلوات الله وسلامه عليه رحيمًا حتى مع أعدائه، كريما حتى مع من أساءوا إليه، يدفع بالتي هي أحسن، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤] وكان يعفو عمن ظلمه، ويحسن إلى من أساء إليه، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وكيف لا وهو الذي بعثه الله تعالى رحمة للعالمين كما قال جل شأنه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وجمَّله الله بأعلى الأخلاق، كما قال جل شأنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤] وكما قال ﷺ متحدثا عن نفسه: «إنما أنا رحمة مهداة».

ولقد كان للعفو والصفح والتسامح أكبر الأثر في هداية الناس وتعرفهم عن قرب على حياة الرسول ﷺ، وعلى مثاليات الإسلام الذي يدعو إليه، وكانت لهذه المعاملات الإنسانية الفذة أكبر الأثر في اعتناق كثير من المشركين للإسلام ودخولهم فيه، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة في التسامح قولا وفعلا، فالإسلام دين العفو والصفح والتسامح ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

النَّبيُّ الوالدُ والمُربّي

أولادُ الرسول ﷺ جميعًا - ما عَدا إبراهيمَ - منَ السيدة خديجةَ، وهم ابنان: القاسمُ والطاهرُ. وقد ولدَ القاسمُ قبل الإسلام، وبه كانَ الرسولُ ﷺ يُكنَّى، وماتَ وعمُره حوالي السنتين. أمَّا الطاهرُ فقدْ ولدَ بعد الإسلام، ولذلك سُمّي الطاهر. وقد ماتَ رضيعًا، وكانَ الرسول ﷺ ما يزالُ في مكةَ، فقالَ العاصُ بنُ وائل في شماتة بالرسول: إن محمدًا أبتر، أي لا يعيشُ له أبناءُ، فنزلتْ الآيةُ الكريمةُ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]، وولدت السيدةُ خديجةُ للرسول أربعَ بنات هُنَّ زينبُ ورقيَّةُ وأمُّ كلثوم وفاطمةُ[1].

وأمَّا إبراهيمُ فقدْ ولدَتْه ماريَّةُ المصريَّةُ، ولكنَّهُ ماتَ وعمرُه حوالي عام ونصف العام.

---

(١) الرسول في بيته، ص ١٣٧.

كانتْ زينبُ كبرَى بنات النبيّ، وقد تزوَّجَتْ قبلَ الإسلام من أبي العاص بن الربيع، وكانَ ابن خالتها هالةَ بنت خويلد. ولمَّا هاجرَ النبيُّ ﷺ إلى المدينة منعَ العاصُ زينبَ أن تلحقَ بأبيهَا، وكانَ العاصُ ما يزالُ على وثنيَّته وقدْ وقعَ أسيرًا في يد المسلمينَ في غزوة بدر، وفَدَتْهُ زينبُ بقلادتها، وقدْ أطلقَ النبيُّ سراحَه شريطةَ أن يردَّ زينبَ إلى المدينة، فأعادَها العاصُ إليه، ثم تزوَّجَها مرة أخرَى بعدَ أنْ أعلنَ إسلامَه في سنة ستّ للهجرة.

وأمَّا رقيةُ وأمُّ كلثوم فقدْ تزوجَتا من عتبةَ ومعتّب ابنَيْ أبي لهب، فلمَّا نزلَ قولُ الله تعالَى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] قالتْ أمُّ جميل زوجةُ أبي لهب: قد هجانَا محمدٌ، وألزمت ابنَيْها أن يطلّقا رقيَّةَ وأمَّ كُلثُوم.

وقد تزوجتْ رقيةُ من عثمانَ بن عفانَ، وولدتْ لهُ عبدَ الله، ثمَّ توفّيَتْ في أثناء غزوة بدر، وتزوَّجَ عثمانُ بعدَها أختَها أمَّ كُلثُوم، وظلَّتْ معَه حتَّى ماتتْ سنة ٩ هـ.

وأمَّا فاطمةُ فقدْ زوَّجَها الرسولُ ﷺ من عليّ بن أبي طالب- رضيَ اللهُ عنهُ- فولدَتْ لهُ الحسنَ والحسينَ ومحسّنًا وزينبَ وأمَّ كُلثوم، وقدْ ماتَ محسّنٌ صغيرًا. أما الحسنُ والحسينُ فقدْ عاشَا وأنجبَا نَسْلاً كثيرًا.

وفاطمةُ تستحقُّ المزيدَ من الحديث عنهَا لمكانتها منَ الرسول ﷺ. ويروي الذهبيُّ أنَّ الرسولَ ﷺ قالَ عنها: إنَّها سيدةُ نساء العالمينَ في زمانها. وكانَ يكنّيها «أمَّ أبيها»؛ لما كانَ فيهَا من الحنان علَى الرسول ﷺ، الذي قلَّما يوجَد في غير الأمّ. وقد رَوَتْ كثيرًا من الأحاديث عن أبيهَا، وروَى عنهَا ابنُها الحسنُ والسيدةُ عائشةُ، وأمُّ سلمةَ، وأنسُ بنُ مالك. وكانَ ﷺ يحبُّها ويُكرمُها ويسيرُ إلَيْها، وكانتْ صابرةً متديّنةً خيرةً خاضعةً شاكرةً لله، وكانتْ مشيَة فاطمةَ شديدة الشبه بمشية الرسول ﷺ.

وكانتْ فاطمةُ - رضيَ الله عنها - كثيرةَ العبادة والذّكر، وكان عليٌّ- رضيَ اللَّهُ عَنه- قد قسَّمَ العملَ في البيت بينَ أمّه وبينَ زوجته، فطلبَ من أمّه أن

تكفيَ فاطمةَ الخدمةَ خارجَ البيت، أي تحضر ما يلزمُ البيتَ من الخارج، وتكفيهَا فاطمةُ العملَ في البيت، فتقومُ بالطحن والعجن والخبز[1].

وأول ما نذكرُه عَن معاملة الرسول ﷺ لأولاده وأحفاده أنَّه ألزمَ الأبَ والأمَّ العنايةَ بأبنائهما في كلّ شيء منْ قبل الميلاد وحتَّى البلوغ، ويدخُل في ذلكَ حُسنُ اختيار الأسماء، وحُسْنُ التربية والتأديب، وقد ألزمَ الأبُ أنْ يسوّي بينَ أولاده في العطاء والمعاملة، فقدْ ثبتَ أنَّ زوجةَ بشير بن سعد الأنصاريّ طلبتْ إليه أن يخصَّ ولدَهما النعمانَ بمنحة فاستجابَ لهَا، وأرادتْ الزوجةُ توثيقَ هذه الهبة، فطلبتْ من زوجها أن يُشهدَ عليها الرسولَ ﷺ، فاستجابَ بشيرٌ لرغبتها وذهبَ إلى الرسولَ ﷺ، فسألَه الرسولُ ﷺ : هل للنعمان إخوةٌ؟ فأجابَ: نعمْ. فسألهُ الرسولُ ﷺ: فكُلَّهُم أعطيتَ مثلَ ما أعطيتَهُ؟ قال بشيرٌ: لا. فقالَ الرسولُ ﷺ:

(١) المرجع السابق بتصرف .

ليسَ يصلحُ هَذَا، إن لبنيكَ عليكَ من الحقِّ أنْ تعدلَ بينَهم، كمَا أنَّ لكَ من الحقِّ أن يَبرُّوك، اتقُوا اللهَ واعدلوا بينَ أبنائكم.

وهكذَا يأمرُ الرسولُ ﷺ الآباءَ أنْ يحفَظُوا حقوقَ أبنائهم ويحسنُوا تربيَتَهم ومعاملَتهم. فكيفَ كانَ ﷺ وهوَ قدوةُ الآباء والمربينَ يعاملُ أولادَه وأحفادَه؟

في داخل بيت النبيّ ﷺ نسمعُ عَنْ رحمتِه ودُعابَته لأبنائه وأحفاده وأطفال المسلمينَ.

فكانَ أنسُ بنُ مالك - رضيَ اللهُ عَنهُ - يقولُ: «ما رأيتُ أحدًا كانَ أرحمَ بالعيال من رسول الله ﷺ. كانَ ابنُه إبراهيمُ مسترضَعًا في عوَالي المدينة، فكانَ ينطلقُ ونحنُ معَه فيدخلُ البَيت فيأخذُه فيقبّلُه ثمَّ يرجعُ».

وقال عمرُ بنُ الخطاب - رضيَ اللهُ عَنهُ- رأيتُ الحسنَ والحسينَ- رضيَ اللهُ عنهُما - على عاتقَي[1] النبيّ ﷺ، فقلتُ:

(١) أي على كتفيه.

- نعْمَ الفرسُ تحتكُما.

فقالَ النبيُّ ﷺ :

- ونعْمَ الفارسان هُمَا .

وكانَ رسولُ الله ﷺ يَصُفُّ عبدَ الله وعبيدَ الله وكثيرًا من بني عباس وهمْ أطفالٌ، ثم يقولُ: من سَبَقَ إليَّ فله كذَا وكذَا.

فيستبقونَ إليه ، فيقعونَ علَى ظهره وصدره فيقبّلُهم .

وكانَ الرسولُ ﷺ يُحبّ فاطمةَ - رضيَ اللهُ عنْهَا - حبًا جمًا، وكانتْ إذَا دخَلَتْ عَلَيْه قام إليهَا وقبَّلَها وأجلسها بجواره. وكانَ يحبُّ زينبَ حبًّا شديدًا، ولما ماتتْ تركتْ بنتًا اسمها (أمامة)، فكانَ يرعَاها عليه الصلاةُ والسلامُ ككلِّ أحفاده. وذاتَ ليلة أهديَتْ إليه قلادةٌ ثمينةٌ فقالَ ﷺ: لأهدينَّ هذه القلادَة إلى أحبّ أهلي إليَّ.

فلمَّا أصبحَ دَعَا بأمامَة وألبَسها القلادةَ.

الرسولُ ﷺ معَ خدمه

تمتدُّ ظلالُ الهَدْي النبويِّ لتشملَ نوعًا من الناس قدْ لا يكترثُ البعضُ بهم، فَلا يحقّقُ معَهُم المساواةَ اللازمةَ، وهؤلاء همُ الخدَمُ، فقدْ وجَّه النبيُّ ﷺ إلى العناية بهم وحُسْن معاملَتهم، علَى أنَّهُم إخوانٌ للمخدوم، وعلَى أساس القاعدة الإسلامية المعروفة أنَّه لا فضلَ لأحد علَى أحد إلا بالتقوَى والعمل الصالح.

فقدْ قالَ ﷺ: «إخوانُكم خَوَلُكُم (أي خَدَمُكم» جعلَهم اللهُ تحتَ أيديكُم، فمَنْ كانَ أخُوه تحتَ يده فَلْيُطعمْه مِمَّا يأكُلُ، وَلْيُلْبسْه مِمَّا يلبسُ، ولا تكلّفوهُم ما يَغلبُهم فإنْ كلّفتُمُوهم فأعينُوهُم»[1].

وقالَ ﷺ في الحديث الذي رواهُ أبو هريرةَ: «إذا

(١) رواه البخاري.

أتَى أحدَكم خادمُه بطعامه فإنْ لمْ يُجلسْهُ معه فليناولْهُ لقمةً أو لقمتين، أو أكلةً أو أكلتين؛ فإنه وَلِيَ علاَجه» (أي قام بإعداد الطعام).

وفي هذا دعوةُ الإسلام إلى التعاون والمحبة وعدم التفرقة بينَ طوائف المجتمع. وعلَى المسلم ألا يستأثرَ بشيء دونَ خادمه، بلْ ينبغي أن يُشْركَه في كلّ شيء، في المأكل والملبس والمشرب. وليسَ من الضروريّ أن يلبَسَ الخادمُ من نفس نوع ملبس مخدومه، ولكنْ يكونُ لهُ نصيبٌ منهُ.

وعنْ واجبات الخادم تجاهَ المخدوم يقولُ الرسولُ ﷺ: والخادمُ راع في بيت سيده وهوَ مسئولٌ عنْ رعيته.

فإذا جئنا إلى النموذج الواضح في بيت الرسول ﷺ رأينَا مثلاً عاليًا في هذَا الشأن من خلال خَدَمه ﷺ ونذكرُ منهُم[1] بَرَكَةَ (أمَّ أيمنَ) وزيدَ بن حارثةَ وثَوْبانَ وأنسَ بنَ مالك.

(١) التعريف بخدم النبي ﷺ من كتاب «الرسول في بيته» ص ١٤٣ وما بعدها، بتصرف.

بَرَكة :

كانتْ بركةُ - أثابَها اللهُ - حاضنةَ الرسول ﷺ بعدَ وفاة أمّه؛ ولذلكَ كانَ الرسولُ ﷺ يدعُوها أمَّه، ولما شبَّ الرسولُ ﷺ وتزوَّجَ من خديجةَ، تقدَّم لخطبتها عبدُ الله بنُ زيد الخزرجيُّ. وكانتْ بركةُ تميلُ إلى البقاء في خدمة الرسول ﷺ وزوجته الطاهرة، ولكنَّ الرسولَ ﷺ وزوجتَه شجَّعا بركةَ على قَبول الزواج، وأحسَّتْ بركةُ أنَها أدَّتْ واجبَها في خدمة رسول الله ﷺ حتَّى تزوجَ، وبدتْ حياتُه طيبةً معَ زوجته خديجةَ، فوافقَتْ على الزواج، ورحلتْ معَ زوجها إلى يثربَ، وأنجبتْ ابنَها (أيمنَ) منه؛ فصارَتْ تُدعَى أمَّ أيمنَ، ثم ماتَ زوجُها فعادتْ بابنها إلى بيت الرسول ﷺ.

ويروَى أنهَا جاءتْ للرسول ﷺ مرةً وهوَ بينَ أصحابه فأسرَّتْ لهُ بشيء ثم عادتْ، فقالَ الرسولُ ﷺ: من أرادَ أن يتزوَّجَ امرأةً من أهل الجنة فليتزوجْ أمَّ أيمنَ. ولمَّا سمعَ زيدُ بنُ حارثةَ ذلكَ تقدَّم إلى الرسول ﷺ يخطُبها، وتمَّ زواجه منها بعدَ وليمة

سخيَّة أقامَتْها أمُّ المؤمنينَ خديجةُ لأوفَى خادمة. وأنجبَ هذَا الزواجُ أسامةَ بنَ زيد.

زيدُ بنُ حارثَةَ :

وهو من قبيلة كَلْب، إحدَى قبائل العرب الشهيرة. وقد وُلدَ في الجاهلية، وسُبيَ وهو طفلٌ في إحدى غارات القبائل، وبيعَ رقيقًا في أسواق مكةَ، وكانَ الذي اشتراهُ حكيمُ بنُ حزام لخديجةَ بنتَ خويلد، ولما تزوَّجَ الرسول ﷺ من خديجةَ وهبَتْه زيدًا، فأحبَّه وأعتقَه وتبنَّاه (أيْ جعلَه كأنَّه ابنٌ لهُ)، وكان يُدعَى زيدَ بنَ محمد حتَّى نزلت الآيةُ الكريمةُ: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥]، فأصبح يُدعى زيد بن حارثة.

وقد اهتدَى أبوه إليه، وأظهرَ الرسولُ ﷺ استعدادَه لردّه لأبيه وذويه، ولكن زيدًا اختارَ أن يبقَى مع النبيّ ﷺ، إلى أن سقطَ شهيدًا في موقعة مؤتةَ، فعيَّن الرسولُ ﷺ ابنَه أسامةَ قائدًا للجيش الذي أعدَّه قبلَ وفاته لغزو الروم، وكانَ كبارُ الصحابة جنودًا في هذَا الجيش تحتَ إمرة الشابّ أسامةَ.

ثَوْبَان :

ومن الذينَ خَدمُوا الرسولَ ﷺ مَوْلاه ثَوبانُ، وقد أخلصَ للرسول ﷺ أيّما إخلاص، حتَّى أنَّ الرسول ﷺ لاحظ أنَّ ثوبانَ يذوي ويذبُلُ فسأله: ما بكَ يا ثوبانُ؟ فأجابَ ثوبانُ: إنني أذكرُ الآخرةَ التي ستجعلُني في مرتبة بعيدة عنكَ فأحسُّ بالأسَى والحزن لفراقك. ويقالُ إنَّ الله طمأنَه على مستقبله في الجنة بالآية الكريمة: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾

[النساء: ٦٩].

أنس بن مالك :

ومن خَدَمه ﷺ أنسُ بنُ مالك. وهو يقصُّ قصَّتَه معَ الرسول ﷺ فيقولُ: قدمَ الرسولُ ﷺ إلى المدينة وليسَ معَه خادمٌ، وكانتْ أمّي (أمُّ سليم) متزوجةً من أبي طلحةَ الأنصاريّ بعدَ أبي، فأسلَمتْني أمّي لخدمة رسول الله، وقال أبو طلحةَ للرسول ﷺ وهو يقدّمُني

له: يا رسولَ الله إنَّ أنسًا غلامٌ ذكيٌّ فَلْيَخْدمْك.

وتولّيتُ خدمةَ الرسول ﷺ طيلةَ عهده بالمدينة، ولقدْ لازمتُه في السفر والحضر، وما قَال لي مرةً أفّ، ولا قال عن شيء صنعتُه: لمَ صنعتَه؟ ولا عن شيء تركتُه: لمَ تركتَه؟

ونقول:

ما كانَ أروعَه من بيت يضيءُ في جَنَباته نورُ الإيمان، وتُورقُ فيه أغصانُ العطف والحنان وما أجدرَ كلَّ مسلم أنْ يقتديَ بصاحبه - عليه الصلاةُ والسلامُ.

الفهرس

بيوت النبي ﷺ 5
أثاث بيت النبي 8
من خصائص البيت النبوي 9
مع نساء الرسول ﷺ (أمهات المؤمنين) 15
الرسول ﷺ في بيته 21
النبي العابد 27
النبي المتوكل على الله 31
النبي الوالد والمربّي 35
الرسول ﷺ مع خدمه 41